تعقيبات

الأستاذ أنور المعداوى

كرسي شوقي للأدب العربي الحديث :

تحت هذا العنوان وفي جريدة « الأساس » منذ أسبوعين ، كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني كلمة عن شوقي بمناسبة الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يشغل كرسيه الذي أنشأته كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . ولقد أوضح الأستاذ المازني رأيه في الشروط التي حددتها الجامعة ، مؤكداً أنها مبالغة في التيسير على طالب هذا الكرسي لأنه للأدب العربي الحديث كله لا للأدب المصري وحده ... وليس أدل على هذا التيسير في رأي المازني من أن الجامعة قد اشترطت على من يتقدم لشغل هذا الكرسي أن يكون حاصلا على الدكتوراه من مصر أو ما يعادلها من الخارج ، أو أن يكون حاصلا على أعلى الأجازات العلمية التي كانت تمنح قبل إنشاء الجامعة المصرية ، أو أن تكون له أبحاث أتت للعلم بفائدة محققة ، أو أن يكون قد مضت أربع عشرة سنة على حصوله على درجة بكالوريوس أو ليسانس ، وأن تكون له أبحاث قيمة مبتكرة .

هذه هي خلاصة الشروط التي حددتها الجامعة ، والتي يرى فيها المازني وأرى معه أنها مبالغة في التيسير على طالب هذا الكرسي الجامعي الممتاز ؛ لأنها لا يمكن أن تنهض بالدراسة الفنية التي تتفق ومكانته ، ولا بالمستوى العلمي الذي يجب أن يتوفر فيه شاغله ... ومرة أخرى يضع المازني الأمر في مكانه ويزنه بميزانه حين يقول : « إن درس الأدب العربي الحديث على وجهه الصحيح في هذا العصر يتطلب علماً وافياً بلغة أو لغات أجنبية وآدابها وفلسفاتها أيضاً ، فما تستطيع — ولا سيما في زماننا هذا — أن تباعد بين الفلسفة وبين الأدب ونقده . ثم إن أستاذ هذا الباب لا يستغني عن الإحاطة بأحوال الاجتماع والسياسة في كل قطر عربي ، وبكل عامل من العوامل التي تؤثر في الأدب وتطوره ، وبمذاهب الفلسفة والنقد ، وبآثار الآداب الغربية في الأدب العربي فإن الأدب — أي أدب — ليس شيئاً قائماً بذاته مستقلا عما عداه ، وإنما هو فرع من شجرة ضخمة ، ومن أولى من رجال الجامعة بأن يحرصوا على الأصول التي أخرجت الفروع ؟! ... أكاد أقول — بل أنا أقول — إن هذا الكرسي الذي يعد من أعظم الكراسي شأناً يحتاج إلى علم غزير وإلى إحاطة شاملة بالآداب العربية والغربية ، وإلى دماغ فلسفي متنوع الثقافة ، وإلى معرفة بالتاريخ السياسي والاجتماعي ، وإلى بصيرة نافذة ؛ فليس يكفي أن يكون مشروطاً أن يكون لطالب هذا الكرسي أبحاث قيمة لأن الأمر أكبر من ذلك ، والموضوع أوسع وأعمق ، وأحوج إلى العلم الشامل المتنوع ... وأخشى ألا تكون العجلة في هذا الأمر إلا من الشيطان ، فالتريث أحجى وأرشد ، ولن تعاب الجامعة إذا هي تأنت ، ودققت ، إيثاراً لحمل الأمانة العلمية كما ينبغي أن تحمل . ولكنها تعاب ولاشك إذا هي أكتفت « بملء الخانات » كيفما اتفق ، أي إذا قدمت المظهر على الجوهر والصورة على الحقيقة » !

من هذه الكلمات نخرج بأن المازني لم يكن غالياً في شعوره بأهمية الموضوع الذي تعرض له بالبحث والمناقشة ، ولا بضخامة العبء الذي يجب أن يقوم به من هو أهل للقيام به ، ولا بقصور النظرة الجامعية إلى مقومات الأستاذية الكاملة التي تنهض بواجبها العلمي عن جدارة واستحقاق ... ولكن المازني — غفر الله له — شاء أن يدس بين زهوره الفكرية أشواكا تبخر منها الشذى العطر والعبير الفواح ، وبقيت منها وخزات تجرح الذوق والفن والشعور ! يقول المازني عن شوقي في ثنايا كلمته : « وقد سرني أن كلية الآداب أنشأت هذا الكرسي وسمت به قصداً ملحوظاً في دراستها ... ومع احتفاظي برأيي القديم في شعر شوقي أقول إنه قد سرني أن يطلق اسمه على هذا الكرسي » !!

ترى ألا يزال المازني بينه وبين نفسه محتفظاً برأيه القديم في شعر شوقي أم لا يزال محتفظاً به بينه وبين الناس ؟ أخشى أن يكون الفرض الأخير هو الأصح ، لأني أعلم أن هناك أدباء

يشعرون بالحرج إذا ما واجهوا الرأى العام الفنى بتغيير آرائهم بين الأمس واليوم ... إننا نعلم أن رأى المازنى فى شعر شوقى يرجع إلى أيام الشباب وحماسة الشباب واندفاع الشباب ، ولكن للشباب نظرته التى قد يهذب من جموحها مضى الزمن ، وذوقه الذى قد يحد من انحرافه تقدم السن ، وحكمه الذى قد يعدل من مقاييسه اكمال الثقافة واتساع الأفق . لهذا كله أحسبنى أن يكون المازنى قد نبذ بينه وبين نفسه رأيه القديم فى شعر شوقى واحتفظ به بينه وبين الناس ، خشية الحرج من أن يتهم بتقلب الرأى بين اليوم والأمس وتربعه بين البين والشمال ! ... إننا نعرض لهذا الأمر على أنه فرض يحتمل أن يكون هو الواقع أولا يكون ، فإذا كان فما أحوجنا إلى شئ من الشجاعة يردنا إلى الحق ويرد الحق إلى نصابه فإن ذلك أدعى إلى التقدير لا إلى الحرج والتشهير . إننى لم أقدر الدكتور طه حسين يوماً كما قدرته وهو يذيع على الملأ منذ قريب استنكاره لرأيه القديم فى أدب المنفلوطى ... بل لقد زاد تقديرى له وهو يعلن فى صدق نادر وصراحة محببة أنه يشعر بالخجل كلما تذكر أيام الشباب وما جنت حماستها على القيم الأدبية ومنها آثار المنفلوطى ، حتى لقد نعت نقده لتلك الآثار بأنه لم يكن إلا لوناً من ألوان السخف !

هذا مثل طيب يجب أن يحتذيه المازنى وغير المازنى من شيوخ الأدب إذا ما خطر لهم أن يرجعوا إلى آرائهم القديمة فى صدر الشباب لينفضوا عنها غبار التجنى الذى أثاره الهوى والغرض إذا ما كانت هناك أهواء وأغراض ... ونستطيع بعد هذا كله أن نلتمس هذا الفرض وما حل بين طياته من مقدمات ونتائج ، لنقول إن المازنى بينه وبين نفسه كان وما يزال محتفظاً برأيه القديم فى شعر شوقى ، إذا عبر هذا الفرض الآخر عن الواقع فليس من شك فى أنه سيعبر عن واقع آخر ، وهو أن موازين النقد الأدبى ستحتفظ برأيها الصريح فى ذوق المازنى !! ...

جولة فكرية فى ربوع الريف :

لم أستطع فى الأسبوع الماضى أن أكتب « التعقيبات » لأننى غادرت القاهرة إلى الريف على غير انتظار ... وفى غمرة الحزن على فقد قريب تلقيت نبأه الفاجع ، وأعنى ما رأيت على طول الطريق من شتى المشاهد والصور والوجوه ، حتى خيل إلىّ أننى منذ عشرين عاماً لم أر كل هذا الذى بدا لعينى غريباً ، مع أننى لم أتغيب عن الريف إلا عاماً وبعض عام !

وقلت لنفسى وأنا أنقل الطرف بين الوجوه الصفر والحقول الخضر : أين أنا اليوم مما كنت فيه بالأمس ؟ أين المدينة الصاخبة الضاحكة الجياشة بالحياة ، من هذا الريف الهادئ، البائس الذى يطالعك منه ألف معنى من معانى الهمود والجمود والموت ؟! ألا ما أبعد الفارق بين أرض وأرض وبين أحياء وأحياء ... هذه الأجسام القابلة ما أحوجها إلى تدفق العافية ، وهذه العقول المظلمة ما أحوجها إلى نور المعرفة ، وهذه القرى المهملة ما أحوجها إلى شىء من الاهتمام والرعاية ! ومع ذلك فأنت هنا تلمس حلاوة الرضا حين تلمح مرارة التذمر هناك ؛ ذلك لأن نفس الريفى قد طبعت على القناعة ، وفطرت على الصبر ، وجبلت على الإيمان ... وتلك أمور تنثر فى تربة النفوس بذور الصفاء الروحى الذى يرفع الملتصقين بالأرض إلى آفاق السماء !

إن أجمل ما فى القناعة أنها تظهر لك القليل على قلته وهو أكثر من الكثير ، وإن أروع ما فى الصبر أنه يفلسف لك أعباء الحياة فلسفة تنقلك من عالم المادة إلى عالم الروح ... أما الإيمان فهو قائم من وراء هذا كله ليرد الأمور إلى أسبابها من حكمة القدر ومشيئته فلا اعتراض للناس !

من هنا أعرض المسئولون عن إصلاح الريف ، لأنهم لا يستجيبون فى الكثير الغالب إلا للأصوات الصاخبة المتذمرة تحمل إليهم الضجيج والعجيج ؛ تحملهما من قلم كاتب ، أو من حنجرة نائب ، أو من وساطة يتقدم بها صاحب جاه وسلطان !

ومن العجيب أنك تجد أكثر الكتاب والنواب وأصحاب الجاه قد نشأوا فى ربوع الريف ، واستروحوا طيب أنسامه ، وترعرعوا بين أحضانه ، ومع ذلك فلا يرتفع لهم صوت إلا للمدينة على حساب القرية ، وللمتعلم على حساب الجاهل ، وللطائفة على حساب الفلاح ، وللمصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة !

ذلك لأن الكاتب إذا ذهب إلى الريف فإنما يذهب إليه طلباً

للهدوء والترويح عن النفس ، وأما النائب فليجده للناخبين عهوده الكاذبة ووعوده الباطلة ، وأما صاحب الجاه والسلطان فليشرف على استغلال الأرض ليستكرش بطنه وتمتلئ خزائنه !

صدقني إذا قلت لك إن ريفنا المصري مصنع نادر للبطولة... البطولة الكريمة على الضيم ، الصابرة على الشدائد ، العامرة بأعمق مشاعر التضحية . كل من فيه أبطال ، وأروع ما يروعك من هؤلاء الأبطال ... أنهم شهداء !

كلمات عن قصير القصة نجيب الريحاني :

كتب إلي أكثر من قارئ ، وقال لي أكثر من صديق : لماذا لم تكتب عن نجيب الريحاني ؟ ... إن الذي مات فنان ، فكيف لم يحرك فقده في نفسك كوامن الشجن ، وكيف لم يستجب قلمك للفجيعة كما استجابت بقية الأقلام ؟ ورجعت إلى شعوري أسأله : أمن الممكن أن يهزني نجيب الريحاني أعنف الهز في حياته ، ثم لا يهزني أعنف الهز في مماته ؟ وسمعت جواب الشعور منبعثاً من الأعماق : محال !

ومع ذلك فلن أكتب اليوم عن نجيب الريحاني ... لن أكتب عن الفنان الإنسان الذي كان أسطورة أبدع فكرتها خيال الفنان الإله ... لن أكتب عن اللحن الخالد الذي وقته على قيثارة الأبد أنامل العبقري الأعظم ... لن أكتب عن الحلم القصير الذي داعب أجفان الحياري ، ثم صحوا من بعده على صرخات الدموع !

لن أكتب عن نجيب الريحاني إلا إذا جاءني الند المرتقب بأن مكانه الشاغر لم يشغل ... عندئذ سأصدق أن نجيب الريحاني قد مات ، وأن من حقه علي أن أكتب عنه صفحات وصفحات!

رسالة ثائرة من شيوعي ثائر :

حقيبة البريد تحمل إلي من حين إلى آخر كثيراً من روائع القول وطرائف الأفكار ... من هذه الطرائف وتلك الروائع ما نقلته إلي في الأسبوع الماضي رسالة ثائرة من شيوعي فاضل آثر السلامة فلم يذكر اسمه ! لم يناقشني الشيوعي الفاضل مثلا فيما كتبته على صفحات « الرسالة » [illegible]

أستاذه الأكبر كارل ماركس من آراء ومذاهب ؛ لم يناقشني في شيء من هذا ليقنعني بسلامة قضيته ، أو لأقنعه — على الأقل — بأنه مضلل مفتون ، ولكنه غمرني بفيض من شتائمه التي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على طيب عنصره وكرم محتده ، شأن كل شيوعي من أمثاله !

يقول حضرته إنني كاتب رجعي مأجور ... مأجور من الرأسمالية في مصر وغير مصر ، ولولا « المرتب » الذي أحصل عليه كل شهر من بعض « الجهات المعينة » لما هاجمت مذهباً من مذاهب الإصلاح الاجتماعي يحتاج إليه ملايين المصريين ليرتفعوا من مرتبة الحيوانات إلى مرتبة الآدميين !

أود أن أقول للشيوعي الفاضل إنني أرحب بالرجعية ما دام رائدها الكشف عن مخازي الشيوعية ، أما « المرتبات » فلا يعرفها سوى زبائن « الكومنفورم » ... وأما ملايين المصريين الذين أشار إليهم فأؤكد له أنهم آدميون والحمد لله ، وإنا كان في مصر حيوانات فهم بضع مئات لعل منهم حضرة الشيوعي المحترم!

أنور العراوي

الأسلوب القوي
والاستيعاب الموجز
والتحليل المفصل ، والاختيار الموفق
والمقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى
كل ذلك تجده
في تاريخ الأدب العربي
للأستاذ أحمد حسن الزيات
اطلبه من دار الرسالة ومن المكاتب الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً